

## الإرهاب وتطهير البلاد من الفساد

علينا أن نواجه الإرهاب بكافة الوسائل المشروعة لا بوسيلة واحدة ،  
علينا أن نواجه الإرهاب بعزم مضاعف حتى لا تتكرر الجريمة التي  
استهدفت رجل الأمن الأول في البلاد ، لا تسامح مع مَنْ تسول له نفسه  
إشهار السلاح لقتل الأبرياء وهز الاستقرار ، والعبث بالجهد المبذول  
لإنقاذ السفينة من الغرق ، ولا مناقشة في حق المجتمع في الدفاع عن  
نفسه بالقوة والحزم الواجبين ، ومع الحرص الكامل على شرعية المعركة  
وشرفها ، وأن تمضى في ظل القانون واحترام حقوق الإنسان .

ويجب ألا ينسينا الدفاع العاجل الدائم والأصيل ، وما هو بمجرد  
دفاع ، ولكنه الواجب الإنساني للمجتمع نحو نفسه ونحو أبنائه ونحو  
الحضارة .

يجب أن نسرع بتطهير البلاد من الفساد حتى نعيد إلى حياتنا توازنها ،  
وإلى الأنفس الثقة والأمل ، ونسقط حجة من يدينون المجتمع لترديه  
وتسيبه واستهتاره ، حتى يصير مجتمعا صحيحا قويا يستحق الدفاع  
والتضحية .

ويجب أن ندفع في طريق الإصلاح بكل عزم وحزم ، فالوقت ينادينا  
بالعمل والجدية والبذل ، وجميع ما يجري في العالم من حولنا يصرخ في

وجوهنا أن أفيقوا وهُبُّوا قبل أن يجرفكم الطوفان ، وما الإرهاب إلا ثمرة  
مرة للمعاناة والفساد وسوء الأحوال .

ويجب أن نستكمل مسيرتنا الديمقراطية ، وأن نحترم القانون وحقوق  
الإنسان ، ونهيب مناهجاً صالحاً للحياة الصالحة ، أقول ذلك وأنا على  
علم بأن البلاد الديمقراطية لا تخلو من فسادٍ أو إرهاب أو تطرف ،  
ولكن الأمل في تَحْطِيَّ العقوبات مع الحرية والإيجابية الشعبية أكبر منه في  
وَهْدَةِ الشمولية والقهر والظلم .

عندما نتوجه بصدق نحو تحقيق ذلك نهيب لمعركتنا مع الإرهاب قوة  
ومعنى وركيزة ، ونكرس لرجال الأمن قضية عادلة تستحق التضحية  
والبذل ، فينطلقون في مهمتهم السامية أبطالاً لا موظفين مكلفين  
بالدفاع عن منحرفين من نوع ما ، ضد منحرفين من نوع آخر .

١٩٩٠ / ١ / ١١

## حول مشروع قومي

مما يثير الدهشة أن يجتمع مفكرون للبحث عن مشروع قومي يلتقون حوله . فالمشروع القومي هو الذي يدعو الناس للاعتراف به وإعلانه والدعوة للالتفاف حوله . إنه ينشأ بذاته في مجرى التاريخ ، ينبثق من خلال الظروف السياسية والاجتماعية والدولية كضرورة حتمية ، ثم لا ينتظر إلاّ إشارة من فرد أو جماعة ليصبح هدف حياة أمة في فترة من الزمن . هكذا كان إحياء الروح الوطنية على عهد الاحتلال الذي بشرّ به الحزب الوطني القديم . هكذا كان الاستقلال عقب الهدنة وإعلان مبادئ « ولسون » الذي حمل لواءه الوفد . هكذا كان الحكم الديمقراطي بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ الذي جاهد في سبيله مصطفى النحاس . هكذا كانت العدالة الاجتماعية التي تبناها رجال ثورة يوليو ، لم يكن ثمة اختيار بين بدائل ، فلكل فترة مشروعها ، ولكل مشروع رجاله .

والظاهر أنه لا يوجد مشروع قومي اليوم بالمعنى الشامل ، ولكن يُطرح على الساحة مشروعات لا يخفيان على أحد :

مشروع التنمية الشاملة الذي يتعامل مع جميع المرافق والأنشطة الداخلية ، ويستهدف سياسة خارجية عربية وإفريقية وعالمية على أسس

حكيمة متوازنة ، ويحاول اللحاق بالعصر ، مع تمسكه بالدين والقيم والوحدة الوطنية ، وهو مشروع يجب أن يلتف حوله جميع مَنْ يؤمنون بالأهداف المذكورة . ولعله لا يحظى بما يستحق من انتشار وحرارة لتقصير القائمين به في خلق القاعدة الشعبية المناسبة ، والتردد الذى يمنعه من تبنى الديمقراطية الكاملة ، وفساد الإدارة الذى يثير السخط والسلبية .

والمشروع الآخر هو المشروع الأساسى ، وله قاعدة متينة ، ولكنه غارق فى الماضى ، متخلف عن العصر وروحه ، مُتَحَدِّ متصلب ، وفيه عُنف ، يصد عنه المسلمون قبل غيرهم ، وحتى قادة الرأى الإسلامى السماح المستنير متهمون عنده ، ولم يسلموا من يده ولسانه ، وهذا المشروع لو نقى نفسه من آفاته ، وثأب إلى روح الإسلام الحقيقية ، وتبع رجاله المستنيرين لصلح أن يكون للمشروع الأول مرشداً ومذكراً ومشيئاً .

أما الذين يبحثون عن مشروع قومى فعليهم أن ينضموا إلى أحد المشروعين المطروحين ، ويخلصوا من سلبيتهم التى تحرم الأمة من علمهم وخبرتهم .

## الوحدة الوطنية

كأنه كابوس يعيش فيه النائم المعضب . . إشاعة غريبة يصدقها أناس ، ويندفع منهم نفر فيحرقون ويخربون . ثم ينجلي التحقيق عن كذب الإشاعة ، وتبقى الخسائر شاهداً على عمق مأساة وأحزان أمة .

كيف تخيل البعض مالا وجود له ؟ . لماذا سارع أناس إلى التصديق ؟ لماذا تطوع آخرون بالتخريب ؟ .

لقد شهدتُ عصرًا يمكن أن نسميه عصر الوحدة الوطنية . كانت واقعاً حياً ، وعاطفة صادقة ، وأساساً مكيناً . وكان لها خصوم سياسيون لا يكفون عن مهاجمتها بالتلميح والتصريح واختلاق الأكاذيب ، ولكنها كانت تصد عن بنائها أى عدوان بدون أدنى حاجة إلى تدخل رجال الأمن أو رجال الإرشاد ، وكنا نعتبرها من صميم الفطرة، كحب الوطن ، والأسرة ، وفي غنى عن التوجيه والتربية .

ماذا يجري اليوم فوق أرض مصر المحروسة ؟ الإشاعة تُصدَّق ، والريبة تنتشر ، والاعتداء يقع ، والكآبة تشر جناحها فوق القلوب الحزينة .

كيف يحدث هذا التدهور ؟

لعل جرائم مؤذية تتسلل إلينا من الخارج . لعلها آلام الحروب

المتعاقبة واحتدام الأزمة الاقتصادية . لعلها بعض رواسب الحكم الشمولى التى تبطىء انطلاقا الديمقراطية . لعلها الاصطلاحات المنحرفة التى تتردد بغير حساب عن الصليبية وتستهن بالوطنية وتفرق بين أبناء الأمة الواحدة . الوحدة الوطنية هى أساس حياتنا ، وهى المنطلق إلى أى وحدة أشمل .

اليوم ينادى المصلحون بالحوار والرأى والحزم ، ولكن الأمر يدعو إلى نشاط أكبر ، نشاط يُعرِّفُ كُلَّ حزب وكل نقابة وكل هيئة دورها الوطنى فيه . إنهم يجتمعون من أجل الإصلاح السياسى والدستورى ، وهذا حسن ، والوحدة الوطنية لا تقل فى أهميتها عن تلك الأهداف السامية إن لم تزد .

أَسْمِعُوا الجميع رأيكم عاليًا ، ثم انطلقوا إلى قاعدة الشعب بالمثال الطيب والكلمة الطيبة .

١٩٩٠ / ٣ / ٢٢

## طوق النجاة

لعله لا يوجد خلاف بين الأغلبية الساحقة من المصريين على الإيمان بالدين ، ولكن يوجد خلاف ولا شك عن علاقة الدين بالدنيا ، منهم من يرى في الدين علاقة حميمة بين الإنسان وربه ، وقوة يستمد منها روح النضال ليجعل من دنيا الله مأوى طيباً للبشر يتجسد في أركانه الحق ، والعدل ، والحرية ، والعلم ، والجمال ، والحب ، وهم يستوحون الشريعة ، ويحثون على الاجتهاد والانفتاح على العالم وحضاراته وثقافته ، مع الحرص الجميل على الوحدة الوطنية ، وحقوق الإنسان والأصالة . ومنهم آخرون يغفلون في دينهم غُلُوًّا يدفعهم إلى تجاهل الزمن ، وتجاوز الساحة ، والميل إلى العنف ، وسوء الظن بالآخرين إنسًا وأفكارًا وحضارات وثقافات .

ولن يُحَسِّمَ الخلافُ بين الفريقين إلا في جو الحرية والحوار واحترام حقوق الإنسان ، من أجل ذلك فإننى أدعو إلى إطلاق حرية تكوين الأحزاب ، والعمل الصريح المعلن ، والتنافس المشروع بالبرامج المفصلة ليغرف كل فرد منطلقه وماله . ومن أجل ذلك أيضاً فإننى أدعو جميع التيارات المنتمية للفريق الأول الاندماج في جبهة وطنية واحدة تحت أى اسم قديم أو حديث . أدعو الحزب الوطنى والوفد والعمل والأحرار والناصرين والتجمع إلى هذه الجبهة المفتوحة . والحق أنه لا يوجد

خلاف حقيقى بين الوطنى والوفد ، والأحرار والعمل ، كذلك لا يجوز أن يوجد خلاف مع الناصريين والتجمع بعد التغييرات العالمية والتطور الذى يشكل اليسار العالمى تشكيلا جديداً لا يخشى على عقل أو بصيرة .

إننا نتلقى كل يوم نذيراً جديداً يدعو إلى إعادة النظر والأوضاع فوق خلافتنا التاريخية ، وذكرياتنا الأليمة ، من أجل إنقاذ مصر ووحدتها وتقدمها لتحل فى المنزل اللائقة بها فى هذا العصر .

اللهم أنزلنا منازل الشاكرين على الهداية لا النادمين على الغواية .

١٩ / ٤ / ١٩٩٠

## طائفية حقيقية وطائفية عارضة

يندر أن يتميز مجتمع بالتجانس الكامل في جميع النواحي العرقية والدينية ، ولكن الاختلاف لا يؤدي دائماً إلى الفتن والمشاكل المزمنة ، والطائفية لا تصبح مشكلة حقيقية ونزاعاً أهلياً إلا إذا تعذر السلام واستحال الوفاق ، وأنذرت المعاشرة بالعواقب الوخيمة ، كالحال بين البيض والزنج ، أو بين الهندوس والمسلمين .

مصر تخلو من الطائفية بهذا المعنى ، وهى لم تعرفها فى أى عهد من العهود ، تعايشت فيها الأجناس والديانات فى سلام . وانحرافاتهما فى ذلك الشأن لا تتجاوز انحرافات الأقارب فى الأسرة الواحدة ، والقرية المصرية خير شاهد على ذلك بما تأوى بين جناحيها من أصول مختلفة وديانات متباينة ، وكذلك الحارة ، ولكن من الحق أن نقول : إن المعاشرة لم تخلُ أحياناً من توترات تشدد أو تخف تبعاً للظروف والأحوال ، ويمكن إرجاعها جميعاً إلى أسباب اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ، تفسد الأمور بفسادها وتصلح بصلاحها .

تعال نتقص الأسباب لنزداد فهماً لواقعنا فنزداد قدرة على تقويمه :

قد يجيء التوتر من الدولة نفسها إذا مارست التفرقة بين أبنائها فى الوظائف والمعاملات ، وليس التعصب هو الدافع ، بدليل أن التفرقة

تمارس أيضًا بين المسلمين لحساب أهل القمة . إذن فالعيب يكمن أساسًا في سوء الإدارة والفساد والاستغلال ، والصالح يجيء بالنزاهة والاستقامة والعدل ، فيتحقق الاستقرار والطمأنينة للمسلمين والأقباط معًا .

وقد يجيء التوتر من الاستبداد ، حين يستأثر فرد أو جماعة قليلة بالسلطة ويحرم الشعب من المشاركة . والحق أن الحرمان يقع على الجميع ، ولكن المنتمى إلى الأقلية يظن أنه هو المقصود به ، ولا علاج لذلك إلا بالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان .

وقد يجيء التوتر من سوء الحال الاقتصادية ، والخوف من الفقر ، حيث يضيق الإنسان بنفسه وبأسرته وبجيرانه .

وقد يجيء التوتر من خطورة تيارات متطرفة تنادى بالعداوة وتميل إلى العنف ، ولكن هذه التيارات تتجاوز حجمها الطبيعي بمن ينضم إليها من الساخطين على الحياة نتيجة للانحراف الإدارى والسياسى والاقتصادى .

إن ما يكدرنا اليوم من توتر طائفى لا علاقة له بالطائفية الحقيقية ، إنه توعدك عارض نتيجة لحال عامة ، ونذير يحث على مضاعفة الجهد لإحداث وثبة إصلاحية . إنها مشكلة حضارة لا مشكلة خصام دينى .

## إعادة النظر

أبدينا الرأى فى الانحراف الدينى وما يفرزه من عواقب وخيمة على النهضة والفكر ووحدة الأمة ، وربطنا تضخمه بالمناخ السياسى والاقتصادى والإدارى ، وكيف أن الإصلاح الشامل خلىق بأن يعيد إلى المجتمع توازنه ويرد إليه ما أثر من استقامة وتسامح ووطنية ، ولكن ذلك لا يمنع من أن نعالج الموضوع على مستواه الفكرى البحت ، كعقيدة ودعوة ، لنسد الثغرات إن وُجدت .

أقول : إن الإسلام دين إنسانى شامل ، يشع مبادئ خالدة ، كالحرية ، والعدالة الاجتماعية ، وحقوق الإنسان ، والتسامح ، والحب المكين للعلم والعمل ، إلى اتسامه بالاعتدال وتجانبه عن المغالاة ، ودعوته المؤثرة إلى دار السلام . على حين أن التيارات المنحرفة تتصف بالمغالاة والتعصب وضيق الأفق ، ولا تتورع عن استعمال العنف والدعوة للحقد والكراهية .

كيف تشتد تيارات من ذلك النوع حتى تكدر صفو دين بذلك الصفاء ؟ ! ألم يكن الأجدر بالدين أن يصمد حيال السياسة والاقتصاد والإدارة ، وأن يكون درعاً ضد الفساد والانحلال والانحراف ؟

وما يدعو للدهشة أن الدين الحقيقى يملك مؤسسة الأزهر

ومعاهدهما ، والآلاف من الأساتذة والدعاة ، وفي مقدمتهم رجال يُعَدُّون مفخرة للعقل والضمير . كما يملك جميع وسائل التربية والاتصال ، من مدارس ومساجد وإذاعة وتلفزيون ، في حين أن التيارات المنحرفة لا حيلة لها إلا الدعوة السرية والوسائل المباشرة المحدودة . ألا يدعوننا ذلك إلى إعادة النظر في المنهج والإعداد ؟ . ما دور المدرسة كما ينبغي له ؟ وما دور المساجد ؟

ما دور الإذاعة مسموعة ومرئية ؟ .

ليست العبرة بالكم ، ولكنها بالكيف ونوعية الرجال ، والسؤال المطروح اليوم وغداً هو : كيف تكون التربية الدينية ؟ وكيف تكون الدعوة الدينية في عصر المعلومات والبت المباشر والثقافة الشاملة بدون حواجز ؟

ما أكثر ما عندنا من رجال دين مستنيرين ، وما أكثر مالدينا من مفكرين مستنيرين ، ومن يعمل للدين فإنما يعمل للدين والدنيا معاً .

١٩٩٠ / ٥ / ١٠

## عودة إلى الانتماء

يطلق الانتماء على الولاء والحب ويقظة الشعور بالمسؤولية ، وهو يتجلى أقوى ما يتجلى في العمل ، وقد تعبر عنه الكلمة في الكتابة أو الكلام ، وقد يضطرم به القلب حباً صادقاً ، وهو أضعف الإيمان ، وخير نموذج للانتماء هو ما يربط بين أعضاء الأسرة ، ولكنه ينشأ في هذه الحالة بما يشبه الغريزة ، ودونها حاجة إلى مجاهدة أو تربية . أما الانتماء إلى المجتمع فهو خُلق واكتساب وتربية ، يتكوّن نتيجته لتجمع الإنسان في بيئة محددة تقوم على التجاور والتعاون ، ويخضع لمؤثرات نفسية واجتماعية وحضارية ، وتقر به ظروف ترتفع به إلى ذروة القوة ، وتعتز به ظروف أخرى توهن من قوته ، وربما هبطت به إلى هاوية الفناء .

في ظروف النهضة - كما في ظروف الشدة - يشتد الانتماء ، حتى ليُضَحَّى بالانتماء الأسرى ، وفي ظروف الانحلال والتراجع يضعف الانتماء العام ، فلا يبقى إلا الانتماء إلى الأسرة ، وربما اشتد التدهور فلا يبقى إلا انتماء الفرد لذاته ، والسؤال الذى يتحدثنا في هذه المرحلة من حياتنا هو : كيف نُقوى انتماءنا العام حتى نجعل منه دعامة للتصدى للتحديات وبناء مجتمع جديد صالح ؟ إنه لا نهضة حقيقية بغير انتماء حقيقى ، بل إن درجة النهوض تناسب تناسباً طردياً مع درجة الانتماء ، فالإنسان هو الأساس ، هو الذى يضمن نجاح كافة العوامل الأخرى ،

إنه أهم من المال والتكنولوجيا والتخطيط ، وبدون الإنسان المنتمى المال يُنهَب ، والتكنولوجيا تفسد ، والتخطيط يصبح حبراً على ورق ، ولكن ما هى العوامل التى تؤثر فى الانتماء قوة وضعفاً ؟ إنها :

١ - التنظيم السياسى ، فالنظام الذى تقوم فيه الدولة بكل شىء ، والذى لا يقوم على المشاركة الشعبية الفعالة ، يدعو المواطن إلى التخلص من حُل الأمانة ، وتغريه بالاهتمام بشئونه الخاصة وحدها ، هذا إذا وفق النظام فى إنجاز مهمته وتحقيق أهدافه ، أما إذا أخفق أو غلب عليه الإخفاق فقد يتهادى الاهتمام بالذات إلى لا مبالاة وسلبية صارخة وسخط على الدولة ، وقد يضع الفرد بين ذلك وبين يأس قاتم ، فيتورط فى الجريمة والمخدرات .

٢ - مناخ المجتمع العام وما يسوده من سلوك يتجلى فى معاملته للفرد، يرهقه فى الحصول على ضرورات حياته ، من غذاء ، وكساء ، وتعليم ، وصحة ، ونظافة ، ومواصلات الخ . ولا يحترم حقوقه كإنسان فى الطريق والمصالح الحكومية ، حتى يشعر المواطن فى النهاية أنه يعيش فى مجتمع معادٍ يضمن عليه بالحب والاحترام ، فيبادل كراهية بكراهية ، واحتقاراً باحتقار .

٣ - الاستهتار بالقيم والقانون ، وما يتبعه من تسلط الانتهازيين والمنحرفين ، فيجد المواطن نفسه بين اثنين : إمّا التمرد على المجتمع ، أو السقوط فى هاوية الانحراف .

وإذن فلكى نخلق الانتفاء ، علينا - مع العناية بالتربية والإعلام  
والمواعظ - أن نُقَوِّمَ الحُكْمَ بالديمقراطية ، وأن نعالج الإدارة بالحزم  
والرقابة ، وأن نطارِدَ الفساد والمفسدين بلا هوادة .

١٩٩٠ / ٧ / ٢١

obeikandi.com

## نحو تربية حديثة

التربية مسئولية عامة خطيرة بما تمثل من عناصر أساسية في بناء الشخصية الإنسانية ، لذلك يجب أن نهتم بها الاهتمام الواجب في جميع مراحل التعليم وأجهزة الإعلام لنقيم أساساً متيناً للفرد ، وقاعدة بشرية جديرة بالحياة في هذا العصر . ونحن نولى التربية الدينية والقومية ما تستحق من عناية ، ولكن لابد من إضافات أخرى ، تنضم كدراسات حرة ، أو في كتب القراءة ، وغير ذلك من وسائل الاتصال الحديثة .

في مقدمة ذلك التربية الثقافية التي تستهدف خَلْق المواطن المُحِب للمعرفة ، والمتذوق للجمال في كافة صوره الفنية والطبيعية ، مما يقتضى نشر المكتبات في المدارس ، والمجلات ، وفرق التمثيل ، والموسيقى ، والشعر ، والخطابة . ومن الأهمية بمكان عرض تاريخ الحضارات لإيضاح ما قدمه كل شعب للإنسانية من إنجازات روحية ومادية ، وليكون تنوع الحضارات مدخلا للتفاهم ، وتبادل التقدير بديلاً من الجفوة وسوء الظن .

كذلك يجب أن يلم أبناؤنا بما يتيسر من مبادئ المنهج العلمى ، لا باعتبارها باب النجاح للعلم وإنجازاته فحسب ، ولكن أيضاً بوصفها المنهج الصحيح للتفكير السليم ، والضمان لسلامة العقل وصورته من

الانحرافات والآفات التى تخضعه لتسلط الانفعالات والتعصب ، وتحرره من قبضة الخرافات والترهات التى تزيّف الحقائق وتوقف التقدم .

وأخيراً وليس آخراً ، يجب الاهتمام اهتماماً خاصاً بحقوق الإنسان : فى فكره ، وعقيدته ، وسلوكه ، والتعامل معه ، لينشأ الأبناء على احترام أنفسهم ومواطنيهم والناس جميعاً ، وليحظى الفرد عندهم بما يستحق من احترام وتقديس .

إن الاهتمام بتلك القيم هو اهتمام بالإنسان والإنسانية ، اهتمام بالعقل والفكر والديمقراطية الحقّة كما تجرّى فى الحياة اليومية . هو فى النهاية الحضارة التى يجب أن نتحصّر بها فى العالم الحديث للتكيف معه ، واكتساب القدرة على العيش فيه بنجاح وسعادة وكرامة .

١٩٩١ / ٨ / ١

## بين الحب والكراهية

من طرائف البحوث ما تقوم به وزارة العدل الأمريكية من رصد وتسجيل للجرائم التي تُرتكب بدافع الكراهية في الوطن الأمريكي . ولا شك أن وراء ذلك النشاط رغبة حكيمة في فهم المجتمع وما يؤثر في العلاقات المتبادلة بين أفرادهِ وجماعاتهِ ، للارتقاء بالتشريعات مستقبلاً لِتُجِىءَ مُطابِقَةً لواقعه ، مُعَالَجَةً لأدوائهِ ، مُهذَّبَةً لسلوكياتهِ ، وحافِظَةً لحقوق الإنسان فيه . سوف يكشف ذلك الرصد عن مدى الأثر الفعلي للعنصرية ، وتباين العقائد ، وفوارق الطبقات ، وتضارب الثقافات والإجباطات الجنسية والعاطفية ، والصراعات الاقتصادية ، وخصام الأجيال المتتابة .

حقاً إن الحياة الاجتماعية هدف إنسانى قديم ، وهو فى مضمونه يقوم على التعاون ، ومن أجل التعاون فيما يحقق للإنسان أمنه وأمانه وتقدمه ، ويكرس واجباته وحقوقه ، ويمهد له السُّبُل للإبداع والرقى ، ولكن الأنانية والمنافسة وتفاوت الإمكانيات تفسح مجالا واسعا للظلم والبغى ، والقهر والضياع . وقد تصدت لذلك على مدى التاريخ الديانات والمذاهب ، مستهدفة العدل والتوازن والرحمة ومحاربة البغى والفساد . وما القَدْرُ المتاح من السعادة للبشر إلاَّ الثمرة التى يفوز بها فى معركة الخير والشر ، أو القانون والفوضى ، أجل ، إنَّ السلوك البشرى يحتاج

إلى مراجعة دائمة ويقظة ساهرة ، ويتجلى ذلك فى نهضاته الدينية ،  
وتجديداته المذهبية ، وفتوحاته الفكرية . إنه فى حاجة دائمة إلى ما يُفَعِّرُ  
طاقات عقله ، ويقوى إرادته ، ويؤجج حبه للخير . إنه بحاجة دائمة  
إلى قهر عواطف الكراهية والشر ، وتربية عواطف الخير والحب لمواطنيه  
خاصة ، وللبشر عامة .

ليت كل فرد منا يسأل نفسه قبل النوم عَمَّا فعل به الحب ، وعَمَّا فعلت  
به الكراهية ، ليعرف أى إنسان هو ، وأى طريق يسلك .  
هذه هى معركة الإنسان الأبدية ، وهذا هو قَدَرُهُ .

١٩٩١ / ٨ / ١٥

## عودة للغزو الثقافي

قضية ما يسمى بالغزو الثقافي قضية جدية باهتمام الناس جميعاً على اختلاف مواقفهم وتوجُّهاتهم ، ويمكن أن نلخصها في الكلمات الآتية : كيف نتعامل مع الحضارات والثقافات المعاصرة لنا على مستوى العالم ؟ . وهى قضية لا يمكن إدراك أبعادها وتقدير عواقبها إيجاباً وسلباً إلا على ضوء العصر وإمكانياته ، وطبيعة الحياة فيه .

قديماً كان قوم يدعون إلى فتح النوافذ للحضارة المتفوقة ، والتسليم لها بدون قيد أو شرط . وآخرون دَعَوْا إلى إغلاق النوافذ - فيما عدا ضرورات العلم - محافظة على الأصالة ، وإيثاراً للسلامة . وفريق معتدل تطلع إلى اختيار ما ينفعه ، ونَبَذَ ما يضره ولا يتوافق معه . وكان من الممكن - فى ذلك الزمان - السيطرة على رسم سياسة يُتفق عليها عن طريق البعثات ، والترجمة ، والتربية ، والإعلام .

لكننا نعيش اليوم فى عصر جديد ، عصر المواصلات السريعة ، والسياحة ، ووسائل الإعلام الحديثة التى ستشق طريقها بدون رقابة أو ضوابط . إنه عصر يتعامل مع الأطراف باعتبارها أطرافاً فى جسد واحد ، إنه عصر يبشر بالتَّوْحِيدِ والاختلاط والامتزاج ، وكَسْرِ الحواجز ، وإلغاء الحدود المعنوية والمادية .

فى ضوء هذه الحقائق يجب أن نعيد نظرتنا للقضية ، فلا نعتد على الرقابة أو القوة ، سوف يتردد كل رأى وكل تيار وكل ذوق وكل عادة فى كل بيت بصراحة ووضوح . سيكون صراع رهيب لخلق حضارة واحدة وثقافة واحدة ، وسيبذل كل إنسان من خلال ذلك الصراع جميع ما يملك من معرفة وذكاء .

والتوحد فى الحضارة والثقافة لا يعنى بالضرورة إلغاء الذاتية والخصوصية ، فحتى فى الحضارة الواحدة فى الوطن الواحد لم تمنع من وجود ثقافات متباينة فى شتى أقاليمه .

وإذا فقدنا وسائل الرقابة المألوفة فيمكن بالتربية الرشيدة أن نحل محلها رقابة ذاتية تعتمد على النقد والقدرة على الاختيار . أجل ، لابد من تربية ديمقراطية تقوم على الحرية والاستقلال والمناقشة والحوار .

فما يبقى لنا سوى أن نربى أبناءنا التربية العقلية السليمة ليكونوا قادرين على التصدى لكل جديد بدون تحامل أو تعصب من ناحية ، وبدون انبهار وتسليم من ناحية أخرى .

وسوف يتقرر البقاء للأصلح والأفصح والأجمل .

## من الشدة إلى الفرج

نحن نعيش فترة انتقال وعلى مفترقٍ من الطُّرُق ، بل أصبح هذا القول يصح على العالم أجمع على تفاوت درجاته من التقدم . حسبك أن تتذكر ما يجري في العالم الاشتراكي ، وفي أوروبا ، وفي آسيا ، فضلاً عن العالم الثالث . وفترات الانتقال فترات شديدة الحرج ، مفعمة بالآلام كمثل ما تكون في حياة الأفراد عند الانتقال من الطفولة إلى الصبا ، أو من الصبا إلى المراهقة ، أو عند التردى في الشيخوخة ، فعلى مستوى المجتمعات يضطرب الناس عادة بين التطرف من ناحية كوسيلة للمواجهة يميناً ويساراً ، والسلبية من ناحية أخرى كهروب من أعباء المواجهة ومتاعبها . وبين هؤلاء وأولئك يسقط أناس في الجريمة أو المخدرات أو الانحلال والأناية .

وما هو بالسهل الميسور أن نخرج من عالمنا الثالث إلى العالم المتطور ، ولا هو بالسهل الميسور أن نجد حلاً موفقاً بين السلفية المطلقة والواقعية المطلقة ، أو ميزاناً عادلاً بين سلطة الدولة وسلطة الشعب ، أو بين زهو القوة وحكمة القانون ، أو بين الأهواء الجامحة والمنهج العقلاني العلمي ، أو بين الانطوائية والعالمية التي توشك أن تغزونا في مجالسنا العائلية . ثم إننا لا نترك لمجرى الزمن وحده ولا لتطور التاريخ ، فها نحن نحمل

أعباءٌ إضافية من مشكلات كالجبال ، مثل التكاثر السكانى ،  
والديون ، والبطالة ، وقلة الموارد .

وهكذا إنّ حُسْنَ وعى الفرد وقع فريسة للحيرة والكآبة ، وإذا ساء  
وعيه غرق فى ذاته فهَمَاتَ وهو حَيٌّ أو حَيِّى وهو ميت .

إنها فترة الانتقال ، فترة العذاب ، ولكنها أيضًا فترة العمل والجهاد ،  
ومبعث الخلق والإبداع ، ومولد القادة والأبطال . هى الامتحان التاريخى  
للهمم والعزائم ، ولا محيد فيها عن النجاح ، لأن البديل هو الموت ،  
ونحن لم نُخلق لنتنحّر .

١٩٩١ / ١٠ / ٢٤

## المرشد في الظلام

العقل أعظم هدية حظي بها الإنسان ، وعلى الإنسان أن يدرك أنه لم يحظَ بها لغير ما هدف ، ولكن لتكون مرشدة في الحياة مثلما أن الغريزة مرشد للحيوان . أجل ، توجد مجالات لا حيلة للاقترب منها إلا بالوجدان والذوق والإلهام ، أما الحياة الباقية ، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والطبيعية فيجب أن تعتمد أولاً وأخيراً على العقل . لابد من منهج علمي وتخطيط ونظرة شاملة تستند إلى تخصص وثقافة ، وتتحاشى الأهواء بموضوعية وتحرر من الأفكار السابقة ، تجري في حرية كاملة ، في التصور والأداء ، لا ضابط لها إلا المسؤولية الإنسانية العامة ، واختيار الفرد لمواقفه ومصيره .

ويمكن أن نقيس درجة التحضر بمقدار الدور الذي يلعبه العقل واحترامه ، وعلى هذا الأساس تتحدد مكاسبنا وخسائرننا . ولنقدم شاهدين من حياتنا :

١ - قضية فلسطين . اندفعنا فيها بانفعالاتنا ، البعض يجهل أبعادها ، والبعض يتجاهلها ، فلم نسلم بالموقف الواقعي إلا اليوم . لو سلمنا به في حينه لأنقذنا أرواحاً لا تحصى ، وأموراً لا تعد ، وزمناً يكفي لبناء أمة .

٢ - قضية سلمان رشدى . اندفعنا فيها بالعواطف والمظاهرات والفتاوى ، فهيأنا للكتاب انتشاراً كالنار ، وعرضنا بسلوكنا وأقوالنا الإسلام لكل لكل ناقد أو متربص ، وما كان الأمر يتطلب أكثر من تجاهله ، أن نُعرِّضَ عن الجاهلين ونمضى فى سبيلنا ، أو أن نناقش النص ناقلين مُحلِّلين ، ثم نترك الكتاب ليلحق بمئات الكتب التى هاجمت الإسلام منذ القرون الوسطى وحتى اليوم ، وبقي الإسلام ونماً وانتشر ورسخ .

العقل يا سادة هدية سامية ، وفى وسعنا أن نرعاها فى المدارس وأجهزة الإعلام ، ولكن علينا أن نؤمن به أولاً .

١٩٩١ / ١٢ / ٥

الحياة لا تتوقف ، تيارها يجري في تدفق دائم ، تجيء كل يوم بجديد ، ثم يصبح الجديد قديماً ، ويهل جديد تال . فعلى من يريد أن يحيا في تيارها المتدفق أن يتحلى بصحوة شاملة ومستمرة ، صحوة تشمل الروح والعقل والإرادة ، وتكرس الحرية كوسيلة ناجعة ، وغاية إنسانية سامية . نعى بالحرية انطلاق الفكر والخيال والسلوك والاختيار والاختبار . في الوقت نفسه نعلم أن ذلك كله يمارس في مجتمع بشري ، وفي ظل قانون عام ومبادئ وتقاليد . ولكننا نعلم أيضاً أن القانون والمبادئ والتقاليد يجب ألا تتخلف عن التيار المتدفق ، يجب أن تتجدد وتثرى رؤيتها وأسلوبها ولغتها ، وأن تكون معاملتها متفاعلة مع حركة الحياة ومتطلعة معها إلى غد أفضل .

يجب أن تسقط الأوراق الصفراء الجافة لتنبث محلها أوراق ناضرة خضراء مترعة بهاء الحياة . في سبيل ذلك يجب أن يبذل الإنسان جهده ويتدرّع بشجاعته ، ويستضيء بعقله وروحه ، ولو ضحّى من أجل ذلك براحته وأمنه وحياته . يجب أن يقهر الخوف ويعلو فوق الرغبة المثبطة ، ويعتبر الموت جزءاً من الحياة ، ويقبل الأمانة بوصفها « الجديدة » التي لا تتحمل الجدل .

إن أى قوة تعترض سبيل الإنسان محاولة اعتقال تطلعه الشريف نحو المعرفة والعلم والإبداع والتجديد هُيَ قوة من قوى الظلام والتخريب ، وحليف من حلفاء الشيطان والاندثار . وما من جماعة بشرية تستحق هذا الوصف يمكن أن تتراجع أو تتساهل مع تحديات الظلام ، أو ترضى بأن تقع فريسة لمخالب الشيطان ، وكنا نود أن نحشد الطاقة كلها للبناء والتعمير والإبداع ، ولكن يعزينا بعض الشيء أن التصدى لعوامل الهدم نوع من البناء .

١٩ / ١٢ / ١٩٩١

## عبدة الصهيونية

يعيش بيننا قوم يتصورون أنهم العدو الأول للصهيونية العالمية ،  
يقفون لها بالمرصاد ، يفضحون أسرارها وخباياها ، ويكتشفون يوماً بعد  
يوم قواها الخفية ، ويميطون اللثام عن أخطبوطها الممتد شرقاً وغرباً  
وشمالاً وجنوباً برغم ضآلة الحجم البشرى الذى تمثله ، لا يعترفون  
بِصُلحٍ ، ولا يدعون لسلام ، ويرفعون إلى الأبد شعار الجهاد والقتال .

انظر كيف يرون الصهيونية ؟ إنهم يرونها قوة عائلية تسيطر بدهائها  
وتدبيرها على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وأوروبا الغربية . تسوق  
الجميع إلى الطريق الذى يحقق ذاتها ومصالحها وأهدافها المعلنة والخفية .  
يرونها القوة التى شكلت التاريخ البشرى متكررة فى كل عصر فى القناع  
الذى يُناسبه ، فهى مُشعلة الثورة الفرنسية ، وثورة أكتوبر الروسية ، بل  
كانت وراء الثورة العربية ، وثورة ١٩١٩ ، وكل حركة تاريخية .

وما الحرب العظمى الأولى إلا مؤامرة صهيونية ، وما الحرب العظمى  
الثانية إلا مؤامرة أخرى ، وما من هيئة علمية أو أدبية أو فنية ، أو نظرية  
نفسية أو اجتماعية إلا والصهيونية محركها وموجهها ومستقبلها والقاضى  
فيها بما هو قاض ، إذن فالكرة الأرضية مرتادها ، ولعبة فى يدها ، وحركة  
من نفثات أفكارها ، ولعلها تتطلع الآن للهيمنة على الكون والقوى  
الخفية والمصائر الأزلية .

هذه هى صورة الصهيونية كما تتمثل فى عقول الصناديد من أعدائها ،  
لقد رفعوها إلى منزله الألوهية وعبدوها وهم لا يعلمون ، وإن صح أنها  
كذلك ، أفلا يكون من خير البشرية أن تسلّم لها وتدعوها لقيادتها  
لتخرج بها من الظلمات إلى النور ؟!

يا عبدة الصهيونية ، نحن لا نعبد ما تعبدون ، ولا نتمرغ فى  
الأوهام ، ولا ننحت الأوثان ، ولا يُوبقنا شعور بالدونية والابتذال ،  
نحارب ونسلم ونصالح وكلنا ثقة بالناس وبالبشرية وبمالك الملك .  
نسأل الله الشفاء لكل ذى مرض .

١٩٩١ / ١٢ / ٢٦

## التوازن

متى نرجع إلى التوازن ؟ متى نرجع إلى التوازن الاقتصادى ، والتوازن الأخلاقى ، والتوازن النفسى ؟ متى وكيف نخرج من مسلسل المعاناة والكوارث ؟

الدواء الذى أقترحه هو أن نرفع مرتبات العاملين فى الحكومة والقطاع العام إلى حد الأمان الكامل ، بحيث يعود إليهم الاستقرار المادى والنفسى ، ويطمئنون حيال تحديات الحياة على أنفسهم وأسرهـم ، ولا يشغل باهـم غول الغلاء واحتمالات المستقبل المجهول .

ولعل المسئولين يتمنون ذلك ، ولكنهم يتساءلون طبعاً من أين يحيئون بالمال الكافى ، وإذا خصصوه لهذا الغرض فماذا يتبقى للتنمية ، وبخاصة أنه إنفاق بلا عائد ولا تعويض ؟!

المشكلة أن هؤلاء الموظفين هم القائمون على العمل فى جميع الأنشطة الإنتاجية الهامة وجميع الخدمات . واختلالهم الإدارى والنفسى الناتج عن عجز رواتبهم ينعكس بعنف على الإنتاج والخدمات ، بل قد أضفى على حياتنا بصفة عامة طابعاً مؤسفاً من الإهمال والتسيب واللامبالاة ، وربما أسهم فى خلق انحرافات خطيرة ، كالتطرف ، فضلاً عن أنه فى ذاته ظلم لا يقبله عقل أو قلب .

ولا أظن أن الإقرار لهم بحقهم كاملا مجرد خسارة مادية بلا مقابل ، بل لعل نتائجه أهم مما يتصور الكثيرون . وإننى أسوق بعضها على سبيل المثال :

أولاً : أنه يعيد الاستقرار المادى والنفسى إلى عدد من المواطنين لا يُستهان به ، قد يبلغون - إذا أضفنا إليهم من يعولون - خمسة وعشرين مليوناً من الأنفس . وتحقيق السعادة لهذا الكم من المصريين إنجاز عظيم ، وما الهدف الأخير من أى تنمية إلاّ إسعاد المواطنين ورفع مستواهم الروحى والمادى .

ثانياً : بعودة التوازن إلى الموظفين يمكن أن يتفرغوا لواجبهم فى الحكومة والقطاع العام ، وأن يقبلوا على عملهم برغبة جديدة وهمة مضاعفة ، وأن يتعاملوا مع الشعب بأسلوب جديد يتسم بالاحترام والتعاون ، والنتيجة المتوقعة لذلك زيادة فى الإنتاج قد تعوض ما أخذه ، والتخفيف من معاناة الناس فى قضاء مصالحهم .

ثالثاً : تستعيد الدولة هيمنتها على رجالها ، وتطالب بحقها كاملا نظير الحق الذى أعطته لرجالها كاملا ، فتتحسن الإدارة ، ويعلو صوت القانون ، وتستقر هيبة الدولة .

رابعاً : سيكون لذلك كله عواقبه الحميدة فى الارتفاع بمستوى الأخلاق ، والالتناء الوطنى والثقافة ، والصحة ، ومقاومة النزعات المتطرفة . والله معنا فى جميع الأحوال .

## مناظرات دينية ومدنية

تتابعت المناظرات بين أنصار الدولة الإسلامية وأنصار الدولة المدنية، وقد رحبنا بذلك لتوافقه مع روح الديمقراطية التي تفضل الحوار على التعصب والإرهاب، وفي الوقت نفسه وجدنا أن كل فريق - رغبة في الانتصار على الآخر - لا يكتفى بتبيان مزايا تصوره السياسى، ولكنه أيضًا يتصيد نقاط الضعف في التصور المعارض، فلا تخلو مناظرة من هجوم على الحضارة الحديثة، كما لا تخلو من تشنيع ببعض المواقف التاريخية الإسلامية، وخشينا أن يدفع التكرار للطريق الإسلامى إلى سوء ظن شامل بالحضارة الحديثة، كما يدفع المدنيين إلى موقف قريب من ذلك، من الإسلام نفسه.

لقد وجدنا في الفريقين صفات متقاربة يجب أن نذكرها، فكلاهما يؤمن بالحوار والعقل، وكلاهما يدين الأفكار المتطرفة والإرهاب، وكلاهما لا يمكن أن يرفض الحضارة الحديثة بصفة شاملة، أو يستهين بالعقيدة الإسلامية، من أجل ذلك تمنيتُ أن يقلع الجانبان عن المناظرة، وأن يتلاقيا في اجتماع موسع لمناقشة هادئة موضوعية للبحث عن نقاط الالتقاء، والاجتهاد في اقتراح دستور يجمع بين المبادئ الإسلامية الثابتة والحضارة الحديثة، ويأخذوا لو ضموا إليهم نخبة من إخواننا الأقباط، باعتبار أن الدستور سيطبق على الجميع، وسوف

يجدون مراجع يستضيئون بها ، منها على سبيل المثال المتواضع لا الحصر ، مشروع الدستور الذى قدمه الدكتور محمد حلمى مراد ، ورسالة الدكتور كمال أبو المجد ، وكتاب الأستاذ حامد سليمان : « العلم فى طريق الصحوة الإسلامية » .

والحق أن مسافة الخلاف بين الفريقين ليست بالطول الذى يتصوره الكثيرون . إنها يتبادلان سوء ظن لا يقوم على أساس حقيقى ، ولو قدم الإسلاميون برنامجاً مفصلاً لتلاقى أكثر الخلاف إن لم يتلاش كله . ولو تراجع الإسلاميون عن اتهام الآخرين فى عقيدتهم لصفا الجو وتهياً لتفاهم مثمر .

وأنا لا أشك فى أن « المدنيين » يطالبون بالفصل بين الدولة والحكومة الدينية ذات الحاکم المعصوم ، ولكن أحداً لا يستطيع أن يفصل بين الدولة وبين الدين نفسه إلا إذا أرادها دولة بلا قيم ولا أخلاق .

وحتى لو افترضنا قيام حكم مدنى صرف ، فلا بد أن تصدر قوانينه الوضعية متأثرة تماماً بالروح الإسلامية ، طالما أن المشرعين أنفسهم نشؤوا وتربوا فى أحضان ثقافة إسلامية لا يمكن تحدى قيمها الثابتة التى يؤمن بها الشعب .

لذلك أتمنى أن يجتمع الفريقان لتبادل الأفكار ، والعمل معاً بعيداً عن مشاعر الخصومة وسوء الظن ، وسعيًا وراء وفاق قد ينقذ الصحوة الإسلامية من محنتها .

## العنف

العنف كاد يصبح ظاهرة في حياتنا . . أجل ، لا يخلو عصر أو مجتمع من عنف ، ولكنه لم يكن ظاهرة تتكرر مع توالى الليل والنهار . وأنباء العنف لا تنقطع ، نسمع عنها في مجال السياسة في حكايات اغتيالات دامية ، وفي مجال الأسرة نسمع عن قتل الأبناء للآباء أو الآباء للأبناء ، وفي الشارع في المشاجرات الدامية لأسباب تستحق أو لا تستحق ، وخطف الزوجات ، والاعتداء على الأعراض ، والسرقات بالإكراه ، وفي وسائل النقل ، حيث يمارس القتل علناً وفي وسط الزحام ، وطبعاً نذكر ما يقع في المدارس بين التلاميذ والمربين ، وما يحدث بين الأزواج .

حقاً لم يعد العنف استثناءً ، ولكنه ظاهرة ، بل يوشك أن تمر أخباره بدون إثارة تُذكر ، وكأنها لازمةٌ من لوازم الحياة اليومية . ولم يكن الزلزال إلا مشاركة من الأرض وقواها الخفية في مسلسل العنف ومعاركه . ونحاول أن نجد تعليلاً للظاهرة ، فنحصى ما تزخر به حياتنا من سلبيات ، مثل عنف السلطة في المعاملة ، والأزمة الاقتصادية ، وسوء الخدمات ، والبطالة ، وانسداد الطرق أمام الشباب ، وعدم احترام حقوق الإنسان . والحق أنه لا يمكن إلا أن يكون لتلك العوامل أثرها في خلق ظاهرة العنف . ولكن العنف يطالعنا بعد ذلك في أوطان هي المثل

في الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والتوازن الاقتصادي والحضارى ،  
مما يجعل من العنف ظاهرة عالمية ، ويزيد تعليله صعوبة وغموضاً .

ولكن يبدو أن الحقائق نسبية ، وأن نظرتنا إلى المجتمعات الراقية  
تختلف عن نظرة أهلها لها ، فهناك أيضاً توجد سلبيات ، وإن كنا لا  
نتصورها كذلك ، وها هي ذى الإحصاءات تحدثنا عن أكثر من ثلاثين  
مليوناً من البشر يعيشون تحت مستوى الفقر فى الولايات المتحدة ، أغنى  
بلاد العالم ، وملايين من مرضى الأعصاب والقلق وضحايا المخدرات ،  
وإضافة إلى ذلك فإن إحساس شعوب الأمم المتحضرة بنقصها أشد من  
شعورنا بنقصنا ، واحتجاجهم عليه أشد كذلك .

خلاصه القول : إن سلبياتنا تصلح تفسيراً للعنف فى حياتنا ، وإن  
هدفنا الأول فى الحياة يجب أن يكون فى القضاء عليها ، وهو هدف  
واجب أيضاً بصرف النظر عن علاقته بالعنف ، بل لعل العنف يكون  
من دوافع النهضة ، باعتباره ردّ فعلٍ وتحذيراً وتحريضاً دائماً على  
الإصلاح .

## الإصلاح الاقتصادى

يحدثونك عن الإصلاح الاقتصادى بالأرقام والشواهد ، ولكنهم يستعملون لغة خاصة يفهمها أهل الخبرة والعلم ونخبة من المثقفين ، أما المطحونون بالأزمة فلا يفهمون هذه اللغة ، ولا يصدقونها ، وهيهات أن يعترفوا بالإصلاح إن لم تخفَّ وطأة الحياة وتيسّر السبل .

إنهم يتحدثون عن استقرار سعر الصرف ومعدلات النمو ، وتحسين الميزان التجارى ، وتزايد استثمارات القطاع الخاص ، كما يعدّون بإصدار قوانين خاصة بالبنوك والودائع ، وتطوير سوق المال .

تلك إصلاحات حقيقية ، ولكن الإعلان عنها يتم بلغة خاصة ، ولعلها تخاطب فئات معينة من المواطنين ، أمّا الرجل العادى فلا يفقه لها معنى ، وقد يمر بها بربع انتباه ، فهو لا يبالي إلّا بأزمته أمام غول الغلاء . وبمعنى آخر ، فإن الإصلاح يعالج مقومات الحياة الاقتصادية ، ولكنه لا يصل إلى الشعب حتى يلد نتائج الحتمية المأمولة ، وتتضح آثاره فى الأسعار والمرتبات ، ومضاعفة الإنتاج ، ومطاردة الفساد والمفسدين . بغير ذلك لا يعترف الشعب بالإصلاح ولا يصدقه ، وبغير ذلك لا يمكن أن يجد الحلّ لهمومه ومشكلاته ، ويستعيد توازنه وما عُرف عنه من السباحة والتهديب والاستقامة ، والبُعد عن التطرف والإرهاب . وبين إصلاح المقومات الاقتصادية

ونتائجها المأمولة طريقاً ليس بالقصير ، وفترة انتظار حرجة . إنه موقف شديد يطالب كل مواطن ببذل كل ما يملك من رأى - لو قدر - للتخفيف من معاناة المطحونين ، والدفاع عن مصالحهم ، ونقد السلبات التى تعرقل مجرى حياتهم ، مع تجنب المزايدة والإحراج والتحريض . إنه موقف يقتضى النقد البناء ، والموضوعية ، والإخلاص والارتفاع عن الحزازات الشخصية لنكون أهلاً للدفاع عن عَمَلِنَا القومى ، وتضامننا البشرى فى أسمى معانيه .

١٩٩٢ / ٦ / ١١

## فتح الطريق المسدود

يحدثونك عن الإرهاب فيربطون بينه وبين أشياء كثيرة ، مثل الفتاوى الخاطئة ، والأزمة الاقتصادية ، والفراغ السياسي ، والحكم الشمولى ، والاستهانة بحقوق الإنسان ، والإرهاب يمكن أن يكون ثمرة مُرة لجميع تلك الظواهرات مجتمعة ، أو لإحداها ، تبعاً للظروف والأحوال .

غير أنهم ينسون ظاهرة أخرى لا تقل عن أى من تلك الظواهرات عاقبة - إن لم تزد - ألا وهى انسداد القنوات الشرعية الموصلة للسلطة ، وما ينتج عن ذلك من إحباط ، وضيق لجيل صاعد يتطلع إلى حقوقه فى الحياة ، ومن بينها - وربما فى مقدمتها - حق تبوُّء السلطة .

الحق أن كل جيل جديد يتطلع إلى السلطة أو الحكم ، باعتبار ذلك سبيله إلى تحقيق ذاته الفردية ، وحلمه الجماعى لتغيير المجتمع ، من حق كل جيل جديد أن يتطلع إلى ذلك ، بل إن واجبه وانباءه وطموحه يُملى عليه أن يتطلع إلى ذلك ، ويعمل على تحقيقه بكل وسيلة مشروعة ، فإذا بدا الطريق أطول مما يجب أو طال بطريقة مفتعلة أو سُدَّ تماماً فلا أمل فى منفذ . أصبح اللجوء إلى العنف مما قد يرد على بعض الخواطر .

وقد عاصرتُ الحياة قبل ثورة يوليو ، وأشهد أنه لو كان الدستور قد احترم وعُرفَ كُلُّ هيئة حدودها فربما كتب لتاريخنا أن يكون غير ما كان

. . كان من المحتوم أن تفقد الأحزاب القديمة شعبيتها ، وتحل محلها أحزاب شابة مبشرة بالتغيير الاجتماعى ، أو فى تقديرى أن أجيال الشباب يميناً ، ويساراً كانت سترث الأغلبية فى انتخابات ١٩٥٠ ، وتمضى فى تطبيق ما طبقته ثورة يوليو فى جو من الحرية والديمقراطية ، كان خليقاً أن يحنبنا كثيراً من الأخطاء القاتلة .

فلننظر إلى واقعنا على ضوء ماضينا من ناحية ، والتسليم بالحقائق البشرية من ناحية أخرى ، فنجعل لنا طريقاً ممهداً للسلطة ، خالياً من العقبات المفتعلة والرواسب الشمولية .

من أجل ذلك أقول : إن الحل الأمثل هو الديمقراطية ، واحترام حقوق الإنسان .

١٩٩٢ / ٨ / ٦

## حرية عادلة

بالأمس القريب تضخمت الدولة حتى أصبحت كل شىء . هى الأمن ، والدفاع ، والتعليم ، والصحة ، والمواصلات ، والزراعة ، والصناعة ، والثقافة ، هى كل شىء ، ونتيجة لذلك تضاعل دور الشعب حتى صار لا شىء .

الجميع مُسْتَعْدَمُونَ فى جهاز الدولة ، اقتصر اهتمام كل فرد على شئونه الخاصة ، وقنع فيما عدا ذلك بالمشاهدة ، وربما صرفه الملل عن ذلك أيضًا .

اليوم تتغير الأمور ، تسرى فى المناخ نسمات من الديمقراطية ، وتنفخ فى الأرواح قطرات من النشاط الحر ، وهناك ما يبشر بالعودة إلى حمل المسؤولية ، والخروج من السلبية والكسل .

إذن فقد عرفنا طريق النجاة ، وما بقى علينا فهو أن نظهر سطحه من العقبات ، وأن نمهده للسير ، بل للانطلاق ، ثمه عقبات تتحدى آملنا بعناد ، مثل الإرهاب ، والمخدرات ، والتلوث ، والفساد . ويطالبنا الواجب بإجراء إصلاح سياسى جذرى ، والمزيد من الإنتاج ، وتقويم الجهاز الإدارى ، وبث الأمن والأمان والاستقرار . ويتساءل قوم : وهل نضحى بالعدالة الاجتماعية ؟ .

مازال دور الدولة كبيرًا ، لن يقتصر على الأمن والدفاع ، حتى في أعرق البلاد ديمقراطية ، فإن دور الحكومة يتجاوز الأمن والدفاع ، وسوف تظل الدولة في بلادنا مهيمنة على الصناعات الاستراتيجية ، ومسئولة عن التعليم والصحة ، ومواجهة للتربية والثقافة ، ومتصدية لسلبات المجتمع والبيئة ، ويدخل في نطاق ذلك محاربة البطالة والفقر.

أبدًا لن تكون الحرية واحترام حقوق الإنسان ضربات موجهة للعدالة ، ولكننا لن نصادر الحرية والكرامة باسم العدالة ، وباللجوء للقهر والاستبداد والإرهاب الرسمي .

١٩٩٢ / ٨ / ١٣

## المزاج والعنف

لمناسبة حوادث « أبو حماد » المؤسفة قال المحافظ المسئول : العنف مزاج عام ، وعلينا كأجهزة مسئولة أن نبحث له عن علاج .  
لكن ما الذى جعل العنف مزاجاً عاماً لشعب عُرفَ على مدى التاريخ بالوداعة والصبر ؟ .

الحق أن الأسباب كثيرة ، ولا تغيب عن ذاكرة أحد . فقد حفل تاريخه المعاصر بالاستبداد ، والإرهاب ، والفساد ، والهزائم ، والغلاء ، والبطالة ، وانسداد الطرق أمام الشباب ، والظلم ، والمحسوبية ، وسوء الخدمات ، واضطراب الإدارة ، وعدم احترام حقوق الإنسان ، والتطرف والتهديد ، لا من المواطنين وحدهم ، وربما وجدت تفاصيل تزيد الصورة قبحاً وبشاعة .

وهناك سبب آخر ، وهو أن المصريين فى معاناتهم التاريخية التى تلقوها على أيدي حكام أجانب أو شبه أجانب لم يرجوا لديهم خيراً ، ولا شك أنهم أَمَلُوا - بعد أن آل الأمر إلى أبنائهم - أن تتغير المعاملة ، وأن يجد المصرى فى دواوين الحكومة ومستشفياتها ومدارسها وسجونها مالم يكن يحلم به من قبل .

هذه هى الأسباب التى أَفْقَدَتْنَا الصبر ودفعتنا إلى العنف . ولعل

السيد المحافظ قد أدرك الآن أن مهمة العلاج أخطر من أن يقوم بها سيادته أو أجهزته ، إنها تحتاج إلى علاج شامل وخطة متكاملة وتنمية جامعة مانعة ، وهذا ما تقوم به الدولة وتركز عليه في عهدها الأخير خاصة ، ولكنه يحتاج إلى زمن ، وإلى صبر ، وإلى عمل ، وإلى جهد ، فلندع ما للدولة للدولة ، ولنفكر قليلا فيما ينشب بين الشرطة والجمهور، مما يوشك أن يصير ظاهرة لا حادثة عابرة .

والعلاج واضح ، وهو « أَنْ تُعَامِلَ النَّاسَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَكَ بِهِ » ، ولكنه يحتاج إلى مجاهدة للنفس ، وإخلاص للمجتمع ، ووطنية صادقة . يجب أن تقوم العلاقة بين الشرطة والجمهور على الثقة والاحترام في ظل احترام حقوق الإنسان . يجب أن تذكر الشرطة أَنَّ واجبها الأول هو أن تكون في خدمة الشعب حقًا وصدقًا . إننا نعرف تمامًا ما الشرطة، وما واجباتها ، وما تضحياتها ، وما خطورتها في حماية المجتمع وتكريس القيم والمبادئ .

لذلك لا نريد أن نسمع عن فرد تُساء معاملته في قسم شرطة ، فضلا عن أن يُقتل فيه ، لا نريد أن يصدق الناس شائعة كاذبة عن حادث وقع في قسم . ، إِنَّ خِدْمَاتِكُمْ تَمَلَأُ السَّجَلَاتِ فَلَا تَفْسُدُوهَا بِغَضَبَةٍ عَارِضَةٍ ، أو كبرياء في غير موضعها .

١٩٩٢ / ١٠ / ١٥

## السياحة بين الدين والسياسة

يمكن تفسير ضرب السياحة بدافعين قد يصلان معًا متعاونين ، وقد يعمل أحدهما دون الآخر . أول الدافِعَيْن : تصور ديني متطرف . وثانى الدافِعَيْن : رغبة سياسية جامحة تستهدف إخراج الحكومة ، ولو خرب فى سبيل ذلك الاقتصاد القومى . ونناقش الدافع الدينى فنقول : إنَّ مُفَكِّرَيْنِ إسلاميَّينِ كبيرين ، هما المفتى والأستاذ الغزالى ، قد أغنيانا عن ذلك ، وخير الكلام ما صدر عن أهل الاختصاص فيه ، فمن موقعيهما المميزين قرَّرَا أنَّ السياحة حلال ، وأن حياة السائح وماله فى ذمة المسلم .

ولا بأس من أن أضيف إلى ذلك الرأى الشرعى الحاسم تصورى للموضوع من الناحية الإنسانية العامة ، فأقول : إن السياح قوم يزورون بلادنا باختيارهم ، وبرغبة صادقة ، فزيارتهم دليل على حُبهم لبلادنا يستحقون عليه الشكر ، وأنهم ينفقون فى بلادنا أموالاً طائلة ننتفع بها فى دعم نهوضنا وتقدمنا ، مما يستحقون الشكر عليه أيضًا .

قد يعترض البعض على تقاليد السائحين مما لا يتفق مع تقاليدنا أو يتنافر مع أذواقنا ، ولكن هل نخلو نحن من مثل تلك السلبيات ؟ إن بلادنا حتى قبل أن تصبح سياحية لم تخلُ من الخمر والسكرارى

والمقامرين والمستهترين والداعرين ، وهيهات أن يخلو مجتمع من بعض الانحرافات التى تقل أو تكثر تبعاً للأحوال والظروف .

بل أقول أكثر من ذلك : إنَّ لدينا من السلبيات ما لم يسمع السياح عن مثله ، أو ما يندر وجوده فى بلادهم . فكثير من بلادهم لا تعرف الرشوة أو لا تكاد تعرفها ، ولا تعرف الإهمال والتسيب ، ولا تعرف الغش فى البناء الذى يعرض مئات الأرواح للهلاك فى أوقات الزلازل وفى غيرها . فمفتى السياح - لو كان لديهم مفتى - هو الذى كان يجب عليه أن يحذرهم من سلبياتنا ، ويحثهم على الوقاية منها .

الحق أنه لا توجد حجة لدى المتربصين بالسياح ، لا من الناحية الدينية ولا من ناحية الأخلاق والتقاليد . لم يبق لتبرير الجريمة إلا الرغبة السياسية فى إحراج الحكومة للتخلص منها والاستيلاء على السلطة .

وقد تكون السلطة غاية مشروعة للمواطنين جميعاً على اختلاف مشاربهم ، ولكن لا يجوز المساس بحُرمة المصالح القومية العامة من أجل الوصول إلى تلك الغاية . يجب أن نكون فى صراعنا السياسى ديمقراطيين لا إرهابيين .

١٩٩٢ / ١٢ / ١٠

## كيف نتصدى للإرهاب ؟

الإرهاب مشكلة تتفاقم يوماً بعد يوم ، وتمتد عواقبه إلى مجالات كثيرة ، فأصبح يهدد الأمن والاقتصاد والوحدة الوطنية . طبعاً لا يمكن أن نتجاهله ، فلا يمكن أن نتجاهله ، إذ لا استقرار نفسياً مع تجاهله .

هو في أصله فكر متطرف ، وجد في التاريخ الإسلامى منذ نشأته . والفكر المتطرف في ذاته ليس مشكلة ، فما من رأى أو مذهب إلا وفيه الاعتدال والتطرف ، وأذكر أنه على طول حياتى لم يخل المجتمع من آراء متطرفة ذات اليمين وذات اليسار .

ولكن التطرف قد ينحرف إلى العنف فيصير إرهاباً . كيف ومتى ينحرف التطرف إلى الإرهاب ؟ أرجو - بادئ ذى بدء - ألا يتجه تفكيرك إلى دولة خارجية أو أكثر ، فالإرهاب كظاهرة لا تستطيع أى دولة خارجية أن تخلقه ، وغاية ما تستطيعه الدولة الخارجية هو أن تستغل وجوده فتمده بما يحتاج إليه من مال أو سلاح خدمة لأغراضها . وإذن فعلينا أن نبحث عن أسباب الإرهاب في الداخل قبل كل شئ . فكيف ومتى ينحرف التطرف إلى الإرهاب ؟

هناك أسباب كثيرة قد يتعاون بعضها على خلقه ، ويكون أثرها أشد

إذا اجتمعت معًا . منها الأزمة الاقتصادية وما تحدّثه من إحباط وبطالة ويأس ، ومنها الفساد وما يعقبه من استفزاز وغضب والقضاء على الثقة في المسؤولين والقانون ، ومنها استحالة التغيير بالطرق المشروعة وانسداد القنوات الشرعية إلى السلطة ، ومنها ما يتعلق بالمعركة بين المتطرفين ورجال الأمن ، وما تسفر عنه أحيانًا من عدم احترام لحقوق الإنسان ، الأمر الذى يدعو للحقد والثأر .

ومن عَرَضِ الأسباب تتضح لنا سُبُل العلاج ، وهى إن أُتُبِعَتْ بأمانة قُضِيَ على الإرهاب وأصبح جريمة فردية بعد أن كان ظاهرة اجتماعية .

ولا ينكر منصف ما تبذله الحكومة فى الإصلاح الاقتصادى ، ولا فى الدفاع الأمنى وهى تقاوم الفساد ، ولكن جهدها فى ذلك دون المطلوب، كما أنها لم تُعَنَ كما ينبغى لها بالإصلاح السياسى الذى يغطى بقية الأسباب .

واعلموا يا سادة أن الإرهاب لا يصير ظاهرة إلا إذا أصبح المجتمع فى أشد حاجة إلى علاج ، وكان العلاج فى أشد حاجة إلى الشجاعة والتضحية .

## عام جديد

سنة طيبة ، وكل عام وأنتم بخير . . بدء عام جديد من الحوادث التى تدعو إلى التفاؤل والثقة فى الخير ، برغم الزلزال والإرهاب والأخطاء الفادحة . . علينا أن نشحذ الحياة ونقوى دوافع الثبات والنصر لنستمد من تقلبات الحياة العبر ، ومن التاريخ الدروس والأمثال ، ولْنَقُلْ برغم الزلزال والإرهاب والأخطاء الفادحة : سنة طيبة ، وكل عام وأنتم بخير.

لَمْ لَا ؟ حتى فى أيام العُسر والظلمات سمعنا صوتًا يبشرنا بانخفاض التضخم ، ويبشرنا - لأول مرة - بزيادة معدل التنمية على معدل الزيادة السكانية . سمعناه أيضًا يطمئننا إلى أن نهضتنا تعتمد على السلام وحسن العلاقات مع الدول جميعًا ، كما تعتمد على العلم والتكنولوجيا .

وفى العام الجديد تشرق علينا مع مطلعهِ آمال جديدة لا غنى عنها :

أمل فى أن يتحقق السلام الشامل العادل فى شرقنا العربى مما يتيح لنا القضاء على أسلحة الدمار الشامل والتفرغ للتنمية .

أمل فى أن يتجاوز العرب خلافاتهم المتبادلة ليعنوا بمصالحهم المشتركة .

أمل فى تحويل التعاون بين أمم العالم الثالث من عالم الأحلام إلى عالم الحقائق .

أمل فى أن نعالج الإرهاب كما ينبغى لنا ، وأن نزيل عن وجه حياتنا السياسية تجعّداته المتوترة .

أمل فى أن يكون العام الجديد عام الديمقراطية وحقوق الإنسان .  
لم لا ؟ لقد بَلَوْنَا المر ، وذُقْنَا السم من الحروب والاستبداد والفقر والتعصب . . فليس من الغريب أن نتطلع إلى السلام والتنمية والديمقراطية وحقوق الإنسان .

١٩٩٣ / ١ / ٧

## نريدها صحوة صافية

ثمة صحوة دينية ينبض بها قلب العالم الإسلامى . . العرب والعجم والهنود والإفريقيون يطرحون قضايا متشابهة ، ويتطلعون إلى أحلام متماثلة . وقلنا للصحة : أهلاً ، ولم يساورنا منها خوف على تراثنا الحديث ، التراث الذى اكتسبناه من العصر ، مثل الديمقراطية ، وحرية الفكر ، والوحدة الوطنية ، واحترام الإنسان ، بل على العكس ، قلنا : إننا سنستمد من الدين قوة جديدة لا عتناق مبادئ العصر ، إنه دين بالإيمان والعقل ، يصلح لكل زمان ومكان ، حتى لو اختلفت الأسماء والأوصاف . لم نتصور أنه يمكن أن ينفى فضيلة حديثه أو يصادر قيمة سامية .

إنه الدين الذى ساوى بين البشر ، والذى يحتكم إلى العقل ، وينادى بالعقل . دين من فرائضه التفكير والعمل والنظافة . دين مقياس فى القلب والمعاملة . تصورت أن ما يشغلنا فى الصحوة ، أجل ما يهم البشر والبشرية . . أن تدور أفكارنا وتلهج ألسنتنا بما يقرب الإنسان من ربه ، وما يعمر دنياه ، ويؤاخذ بينه وبين الناس ، ويوسع مداركه ويزيد معارفه ، وينور خواطره بالبحث والعلم ، ويمتع روحه بالفن الرفيع الجميل .

هذا ما كان يجب أن يكون ، فما الذى كان مما هو كائن ؟!

لقد صاحبت الصحوة أعراضاً لم تكن متوقعة ، مثل الاستبداد ، والفساد ، والهزائم ، والأزمة الاقتصادية ، والظلم ، والمحسوبية . حدث ذلك فكان رد الفعل أن شأب الصحوة في بعض مواقعها الكثير من التطرف ، وهكذا تغير الحوار وتبدل التفكير ، لم يعد لهمومنا الحقيقية ذكر في أحاديثنا التلقائية ، انحصر الكلام أوكاد في الجريمة والمطاردة والتعذيب والحجاب وشكليات لا حصر لها .

إنه إعصار يهب ، فيقتلع كل قائم ، ويُسكت تفكيرنا فيما ينفعنا ، فيما يعمر وطننا وينميه ويجمله ويجنى محاسنه .

لِنَدْعُ الله أن نتغلب على جميع الصعاب التي صاحبت الصحوة ليعود إلينا التوازن ونعود إليه ، ونواصل المسيرة في رعاية رب العالمين .

١٩٩٣ / ٣ / ٤

## عن دور المثقفين

يتساءلون عن دور المثقفين فى التحديات التى تواجهنا ، وفى مقدمتها الإرهاب ، وفى تصورى أنه لا توجد قاعدة تخص المثقفين وحدهم دون بقية الفئات ، بل توجد قاعدة عامة واحدة تنطبق على الجميع ، ويمكن تلخيص تلك القاعدة فى الكلمات الآتية : « إن كل مواطن مطالب بأن يؤدى واجبه كاملا فى نطاق إمكانياته المتاحة » ، هذه القاعدة تصح مع الجميع من أميين ، ومتعلمين بلا ثقافة ، ومتعلمين مثقفين ، ومتخصصين فى الثقافة والفكر ، فكلُّ مُطالب بأن يؤدى واجبه كاملا فى حدود إمكانياته . الأميُّ بحسب تدريبيه ، والمتعلم بحسب تعلمه ، والمتعلم المثقف بحسب علمه وثقافته ، والمثقف المتخصص بحسب ثقافته عمقاً وشمولا ، وكل ما تضيفه الثقافة إلى التدريب والعلم أنها تهيمُ فرصاً لخلق وعيٍ بأبعاد الواجب الاجتماعى والإنسانية .

بعد ذلك التمهيد « الذى لا بد منه » نرجع إلى السؤال الأصلى عن دور المثقفين . والحق أن دور المثقفين حيال التحديات - وفى مقدمتها اليوم الإرهاب - هو حلقة فى سلسلة متكاملة من الأداء الوطنى ، يبدأ أول ما يبدأ بالدفاع الأمنى ، لأنه إذا كان ثمة جريمة فلا تردد ولا تأجيل فى التصدى لها حماية للأرواح والاستقرار والحياة الآمنة .

ثم يحىء دور الدولة فى علاج الأسباب العميقة للظاهرة ، وذلك من خلال خططها الإصلاحية الهادفة للتنمية الشاملة . ونركز هنا بصفة خاصة على مكافحة البطالة ، ومحاربة الفساد ، ومقاومة الغلاء ، والإصلاح السياسى . وأخيراً وليس آخراً يحىء دور الثقافة لمناقشة التطرف وتحليل فكره ، والتصدى لآرائه وأساليبه ، وتشخيصه من النواحي الاجتماعية والنفسية ، والاجتهاد فى وصف العلاج المناسب ، وكلما توافرت للثقافة وسائل التعبير - من صحافة وإذاعة وتلفزيون ومؤتمرات - كانت أقدر على إبلاغ رسالتها وتحقيق أهدافها . وربما تجاوز دور المثقف ذلك على حسب استعداده الشخصى ، فيشارك فى الحياة العملية السياسية أو الاجتماعية . ولا يجوز أن ننتظر رأياً واحداً عند المثقفين ، فهم يمثلون جميع الأحزاب والتيارات السياسية والاجتماعية والفلسفية والفنية ، وستحدد آراؤهم ومواقفهم تبعاً لذلك .

١٩٩٣ / ٤ / ٨

## اقتراح بانتماء جديد

لَعَلِّي لا أباغ إذا قلت : إننا أمة متعددة الانتماءات ، وإن ذلك ينذر حيناً بنوع من الفوضى ، وحيناً آخر باللامبالاة .

مصر ١٩١٩ آمنت بمصريتها أولاً وأخيراً . قامت نهضتها على أساس من الوحدة الوطنية ، وتغنت بالشعار المعروف : « الدين لله والوطن للجميع » . وكان الانتماء قوياً فساند بكل ثقة ثورتنا الشعبية الكبرى ، ولم يعد ذلك على الدين بأى أثر سيء ، فظلت مصر مرجع الإسلام والتراث الإسلامى . أما القومية العربية فلم يكن لها من القوة ما كان لها في بلاد عربية أخرى ، واقتصر انعكاسها على أنشطة بعينها ، مثل الأدب وذكريات التاريخ ، كان الأساس المصرى قوياً ، فطوى بين جناحيه الدين والعروبة بدون أن تؤثر في وضوحه وقوته .

أما مصر ١٩٥٢ فقد أدركها تغير ملموس ، جعلت من القومية العربية هدفها الخارجى الأول ، وتجسد ذلك في الوحدة مع سوريا ، وحملة اليمن ، وكرست أجهزة الإعلام دعائيتها لذلك ، وتبعتها أو سبقتها كتب التربية في مدارسنا . ونشأ في الوطن فريقان : جيل ١٩١٩ الذى لم يفرط في مصريته ، حتى في حال تعاطفه مع القومية الجديدة ، وجيل ثورة يوليو الذى انتمى إلى العربية قلباً وقالباً . وقد تلقى ذلك التيار ضربة قاضية بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ .

عند ذاك - وربما كرد فعل له - ظهر انتماء جديد وكأنه المأوى والعزاء ، وهو الإسلام السياسى ، فكانت الدعوة إلى أن يعود الدين للهيمنة على الحياة كلها « الخاصة والعامة » الداخلية والخارجية ، ومن هنا جاء مطلبه بإقامة نظام حكم إسلامى ، واصطدم بالنظام القائم فى صراع مازال جاريًا محتمدًا .

ويعاصر هذا الصراع ثلاثة انتماءات قد أشرنا إلى كيفية ظهورها ، وهى المصرى الوطنى ، والوطنى العربى ، والإسلامى . . ولعل مهمتنا الحقيقية هى أن نخلق من تلك الانتماءات الثلاثة انتماءً أكبر ، يحافظ على مكوناتها الأصلية ، ويربطها برابطة تكاملية تزيدها قوة وصلابة بدلا من أن تهدر قواها فى صراعات عمياء .

إنها مهمة الجميع بدءًا من رجال التربية ، وانتهاء برجال السياسة .

١٩٩٣ / ٤ / ٢٢

## رؤية جديدة

مواجهة الإرهاب تقوم اليوم على دعامتین :

١ - استراتيجية جديدة .

٢ - المشاركة الشعبية .

وعن الاستراتيجية الجديدة فقد أوضح وزير الداخلية موقفه الحاسم من الخروج على الشرعية ، وفي الوقت نفسه قدم رؤية جديدة للنضال تلتزم باحترام حقوق الإنسان في أقسام الشرطة والسجون ، ورفض التعرض للأبرياء ، ومحاربة الفساد ، والبطالة . . إنه أسلوب جديد يتصدى للإرهاب باعتباره ظاهرة أمنية اجتماعية سياسية ، تُعالج بالحزم والإصلاح ، ومراعاة المبادئ الإنسانية ، وإلا كانت معركة بين إرهابيين، ونحن ندعو الله أن تصدق الوعود ، وأن يتحقق للوطن الأمن والأمان والاستقرار ، وحقن الدماء .

ومن ذلك المنطلق تصبح دعوة الشعب للمشاركة ذات معنى ، والحق أن المشاركة تطالب الناس بالشجاعة ، والتضحية إذا لزم الأمر ، وشعبنا لا تنقصه الشجاعة ، ولا يضمن بالتضحية ، وبخاصة إذا اقتنع بأنه يدافع عن مصالحه ، وكرامته وقيمه ، ولعله يأمل بعد ذلك أن تكون

مشاركته فى التصدى هى الخطوة الأولى فى مشاركته أكبر وأشمل ، وهى المشاركة فى ممارسة حقوقه السياسية ، والاجتماعية الكاملة .

وما نطلب بعد ذلك إلا أن يجىء الفعل مصداقاً للقول ، وأن تكون الاستراتيجية مرنة تتابع الواقع وتغيراته ، وأن تتحلّى بالحكمة كما تتحلّى بالحزم ، وأن نتذكر أن هدفها القومى الحقيقى هو تحقيق الأمن والأمان ، والاستقرار ، وحقن دماء المصريين .

١٩٩٣ / ٥ / ٦

## المتفرجون والمسرحية

المسرح هو المسرح ، والرواية هى الرواية ، والممثلون هم الممثلون ، والمتفرجون هم المتفرجون . الجوهر ثابت والتغيرات هامشية ، أما المنظر فى جملة فواحد لا يطرأ عليه تغيير يُذكر . إنهم يتابعون ما يجرى فوق الخشبة بعين نعسانة ثقيلة ، أو يتابعونه على الإطلاق ، وربما علّقوا ببضع كلمات أحياناً ، ولكنهم يلوذون بالصمت فى أغلب الأحيان ، وقد يصحون مرة أو أكثر على حادثة تقع مثيرة للأشجان ، أو معركة دامية تندلع ، أو كارثة طبيعية تعن ، عند ذلك يتوثبون لصحوة أشد ، ويتوقعون ردود أفعال تناسب الحدث أو المعركة ، وإذا مضى توقعهم بلا ثمرة يرجعون إلى الهمس والصمت والنعاس .

لكن ما أصل الحكاية التى تجرى أحداثها فوق الخشبة ؟

فى الوسط سُلطة ونظام ، وعن يمينه جماعات ، وعن يساره جماعات .

بعض الجماعات شبت نقدًا ومطالبة بالتغيير بدون نتيجة حتى ملّت الكلام ، وغلب عليها الشعور بالضيق ، ولم تعد تختلف فى شىء كثير عن المتفرجين ، فكأنهم جماعة من المتفرجين اتخذت مجالسها فوق المسرح لا فى صالة العرض .

وفي الناحية الأخرى جماعات نشيطة تنطق عن تطرف شديد ،  
وتؤيده بين الحين والحين بالعنف ، وقد نجحت لدرجة ما في جذب  
الانتباه وإيقاظ الصامتين ، ولكن مضى صراعها على نمط واحد ،  
ودخل الحوار المتبادل بينها وبين النظام في دائرة الروتين ، فرجع المتفرجون  
إلى الصمت والنعاس وترديد كلمات الضيق والملل .

وفي وسط المسرح النظام الذى يقوم بالتنمية إنتاجًا وخدمات ،  
ويشارك في معركة مستمرة دفاعًا عن الاستقرار ، وهو يعمل بغير شك  
ويحارب في أكثر من ميدان وكأنه ضحية لدرجة كبيرة ليبروقراطية  
طاغية ، وانحراف منتشر ، وخوف شديد من استكمال الديمقراطية ،  
واستدعاء الشعب لتقرير مصيره .

وحتى متى يمضى الحال على ما هو عليه ؟

لعله صوت الحكمة الذى يتردد من حين لآخر مطالبًا بالتغيير ، تغيير  
الرواية ، أو تغيير الإخراج على الأقل .

## الجريمة في زمن البراءة

للجريمة أسباب كثيرة ومتنوعة ، منها على سبيل المثال الأمراض النفسية ، ومنها الأمراض الاجتماعية ، كال فقر والحرمان ، والشرف ، والحب والغيرة . وأكثر تلك الجرائم قد يرتكبها متعلمون ، كما قد يرتكبها جهلة من عامة الشعب . غير أن جرائم السرقة أو القتل من أجل السرقة الغالب فيها أن تنتشر في بيئة الفقر والجهل ، هذا ما جرت عليه العادة قديماً ، أما اليوم فثمة نوع من المجرمين يطالعوننا ، مجرمين من المتعلمين ، بل ومن أوساط الطلبة ، حيث يفترض أن توجد البراءة والمثالية والتأسي بالقدوات الصالحة .

ولنقف ملياً عند الطلبة ، رموز البراءة والمثالية ، كيف انقلب عدد منهم إلى رؤساء عصابات ، وسفاحين ومغتصبين ؟ . . بل كيف تمادى الأمر ببعضهم ليقتل أخاه أو أمه وأباه ؟ كيف يحدث هذا ؟ طبعاً لا أقول إنهم أصبحوا ظاهرة يومية ، ولكنهم لم يعودوا استثناءً نادراً . وطبيعي أن نشير إلى الفقر أو الحاجة إلى النقود بسبب أو آخر كعاملين يتركز فيهما الاتهام ، ولكن علينا أن نتذكر أن مجتمعنا لم يخل قط من الفقر أو الحاجة إلى نقود ، إذن فلا بد من البحث عن أسباب أخرى لفهم الفساد الذي دب في حياة البراءة ، وسأحاول تلخيصها فيما يأتي :

- ١ - ضعف التربية الدينية والأخلاقية والنفسية .
  - ٢ - خلو الحياة من القدوة الصالحة .
  - ٣ - الطريق المسدود أمام طموحات الشباب .
  - ٤ - مظاهر الاستفزاز المتمثلة في الشراء الفاحش والفساد وما يذاع عنه .
  - ٥ - الإرهاب وإجهااته الوحشية .
- وليس لهذه الجريمة علاج خاص بها ، ولكن علاجها تتضمنه الوصفة العلاجية العامة الشاملة التى نسميها بالتنمية الشاملة .

١٩٩٣ / ٦ / ٢٩